إجراء المنفصل مُجْرَى المتصل بين النحاة والقراء

الدكتور محمد عبد السلام ابشيش

جامعة المرقب

أعطت العرب ألفاظ لغتها عناية فائقة تنمُّ عن لطافة الذوق ، ورهافة الحسِّ ، فحذفت ، وأبدلت ، وحركت ، وسكّنت ، ونقلت ، وأدغمت ، وأمالت تهذيباً للفظ وتحسيناً للصوت ، ليخف على اللسان فتطرب له الأذن ، وتهشُّ له النفس ، ويميل إليه الفؤاد ، فتتمكن المعاني في النفس ، وتنشط الهمة إلى المزيد .

فعلوا ذلك بالألفاظ ، لأنها صور المعاني ، وأوعية الأفكار ، وقوالب الأغراض ، فالمعاني السامية ، والأغراض النبيلة تأبي إلاَّ أن تصاغ في ألفاظ جزلة بعيدة عمَّا يشوبها إفراداً ، وتركيباً لتسحر الألباب وتأخذ العقول و« إنَّ من البيان لسحراً» .

فهم قد وصلوا بها إلى هذه الغاية ، وبلغوا بها هذا الشرف اللطيف الذي لا يصح لذي الدِّقةِ ، والرِّقة منَّا أن يتصوره إلاَّ بعد شرح

وتوضيح[1] .

ولما كان الثلاثي أكثر أبنيتهم استعمالاً ، وأوسعها شيوعاً ، عمدوا إليه وأنالوه ضروباً شتى من التغيير ، والتحليل ، والتحسين ، ولو تتبعت هذه الضروب بل الدروب لطال الحديث ، وتشعب الغرض ، لذا فإنني أقتصر على تسكين الحركات في بنية الكلمة متصلة ومنفصلة لنرى مدى عنايتهم بالألفاظ التي هي خدم معانيهم .

إنهم عمدوا إلى أبنية الثلاثي مما كان على وزن « فَعِل » بكسر العين من الأسماء مثل : كَتِف ، وفَخِذ ، ومن الأفعال مثل : عَلِمَ ، وشَهِدَ ، وإلى ما كان على وزن « فَعُل » بضم العين من الأسماء مثل : رَجُل ، وعَضُد ، ومن الأفعال مثل : كَرُمَ وحَلُمَ .

كما عمدوا إلى ما كان على وزن « فِعِل » بكسر الفاء والعين مثل : إِبِل وإلى ما كان على وزن « فُعل » بضم الفاء والعين مثل حِمِر وإلى ما كان على وزن « فَعِل » بضم الفاء وكسر العين مثل : عَصِر ، وفَصِد فسكّنوا عينه فقالوا : كَتْف ، وفَخْذ ، وعَلْمَ وشَهْدَ ، ورجْل ، وعَضْد ، وكَرْم ، وحَلْم ، وإِبْل ، وحِمْر ، وعَهْد ، وفُصْد .

قال سيبويه : « هذا باب ما يسكن استخفافاً ، وهو في الأصل متحرك ، وذلك قولهم في فَخِذ : فَخْذ .....وهي لغة بكر بن وائل ، وأناس كثير من بني تميم »[2] وهم فعلوا ذلك طلباً للخفة ، ومما يدل على ذلك أنهم قصروا التسكين على مكسور العين ومضموها ولم يفعلوه بما كان مفتوح العين لثقل الضمة والكسرة ولخفة الفتحة كما أنهم كرهوا ـ كما ذكر إمام النحاة ـ أن ترتفع ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور أو المضموم لأنهم كرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل[3] .

قال أبو النجم العجلي ، وهو من بكر بن وائل :

لو عُصْر منه البان والمسك انعصر

حيث سكَّن العين ـ عين الكلمة ـ من « عُصِر » فزعاً من توالي الثقيلين .

قال الشيخ الرضي : « فليس التخفيف في مثله لكراهة الانتقال من الأخف إلى الأثقل كما كان في كتف وعضُد ، كيف والكسرة أخف من الضمة ، والفتحة أخف من

(1) انظر الخصائص جـ1 : 73 .

(2) الكتاب جـ4 : 113 ، وانظر المقتضب جـ1 : 117 .

(3) انظر الكتاب جـ4 : 114 ، شرح الشافية جـ1 : 42 .

الكسرة . بل إنما سكن كراهة توالي الثقيلين في الثلاثي المبني على الخفة»[1] .

وجاء في أمثالهم «لم يُحْرَمْ مَن فُصْدَ لـه»[2] حيث سكنت العين من «فُصْد» هرباً من توالي الثقيلين في البناء الثلاثي المبني على الخفة ، فهم يكرهون الكسرة بعد الضمة كما يكرهون الواو مع الياء ، ولما كان هذا البناء «فُعِل» مستثقلاً قصروه على الفعل المبني للمفعول ، ولم يجروه على الأسماء لكثرة استعمالهم ، فتحاشوا الثقل فيما يحتاجون إليه كثيراً[3] .

وإنما قالوا : إِبْل ، ورُسْل بالتسكين لأنهم نفروا من توالي كسرتين أو ضمتين ، كما يكرهون توالي ياءين ، أو واوين[4] .

فلمَّا كثر عندهم تسكين عين الثلاثي مما كان مضموماً أو مكسوراً واعتادته نفوسهم صيروه أصلاً يقاس عليه ، ومثلاً يحتذى به في غير الثلاثي متصلاً ومنفصلاً ، فمن المتصل قول رجل من أزد السراة :

عجبت لمولود وليس له أب وذي ولد لم يَلْدَهُ أبوان[5]

المولود الذي ليس له أب عيسى ـ عليه السلام ـ وصاحب الولد الذي لم يلده أبوان آدم عليه السلام .

فـ «يَلْدَه» بسكون اللام مضارع أصله «يَلِدُه» مجزوم بـ «لم» وعلامة جزمه السكون الظاهر ، ولما كان «يَلِدِ» على هيئة عَلِم سكنت عينه تخفيفاً كما سكنت عين «عَلِمَ» تخفيفاً فلما سكنت اللام التي هي في مقابل العين من الكلمة التقي ساكنان «يَلْدْ» وهما : سكون التخفيف ، وسكون الجزم فتحركت الدال للتخلص من الساكنين بحركة أقرب المتحركات إليه وهو الياء من «يلد» ولم يعتدَّ باللام فاصلاً لكونه حاجزاً غير حصين لسكونه .

---

(1) شرح الشافية جـ1 ص 44 .

(2) مجمع الأمثال للميداني جـ 1 ص 2 و جـ 2 رقم : 3336 ، وانظر الكتاب جـ4 ص 114 .

(3) انظر الكتاب جـ 4 ص 114 .

(4) المصدر نفسه .

(5) التكملة ص 190 ، وانظر الكتاب جـ 2 ص 266 جـ 4 ص 115 ، الحجة جـ 1 ص 409 مع بعض الاختلاف الاختلاف في رواية البيت ليس في محل الشاهد .

قـال سـيبويه : « جعلـوا حركتـه كحركـة أقـرب المتحركـات منـه ، فهـذا كـأينَ وكيفَ »[1] إذ أصلهما : أينْ ، وكيفْ بالبناء علـى السـكون ، فلمـا التقـى سـاكنان حركـت النون ، والفاء بالفتح وهو أقرب الحركات منهما ولم يعتدَّ بالياء الساكنة حاجزاً لكونها حاجزاً غير حصين .

قال العجاج بن رؤبة :

فبـات مُنْتَصْـباً ومـا تكردسـا إذا أحـسَّ نبـأة تَوجَّسـا[2]

فـ « منتصباً » اسم فاعلٍ ، وأصله « منتصِباً » بكسر الصـاد إلاَّ أنـهَّ أجـر « ت ، صِ ، بَ » من « منتصبا » مجرى كَتِف ، فسكّن الصاد تخفيفاً كما سُكِّنت التاء تخفيفاً .

قال سيبويه : « ومما أشبه الأول فيما ليس على ثلاثة أحرف قـولهم : أراك مُنْتَفْخَـاً تُسكِّنُ الفاءَ تريـدُ مُنْتَفِخـاً ، فمـا بعـد النـون بمنزلـة كَبْـد »[3] أى أنَّ « تَ ، فِ ، خ » مـن « منتفخاً » على هيئة « كَبِد » بكسر الباء فسكنت الفاء كما سكنت الباء طلباً للتخفيف .

ومماَّ أجـروه مـن غـير الثلاثـي مُجـرى الثلاثـي في جـواز التسـكين طلبـاً للخفـة قولهم : انْطَلْق ، وأصله : انْطَلِقْ فعل أمر مبني على السكون إلاَّ أنَّهم أجـروا « طَ ، ل ، ق » مجرى « عَلِمَ » مما كسـرت عينـه ، فسـكنوا لام « طلـق » كمـا سـكنوا لام « عَلِـم » فلمـا سكنت اللام حركت القاف بالفتح للتخلص مـن السـاكنين : سـكون التخفيـف ، وسـكون البناء ، وإنما حرك بالفتح لأنه أقرب الحركات إليه ، ولم يعتـد بـاللام لكونـه سـاكناً غـير حصين[4] .

انظر إلى القوم كيف اهتبلوا بأبنية الثلاثـي فخففوهـا ، وجعلوهـا أصـلاً يقـاس مـا كان على هيئته من أبنية غير الثلاثي ، لـتعلم أنَّ القـوم علـى الـرغم مـن شـظف العـيش ، وخشونة الحياة ، وقسوة البيئة كـانوا علـى قـدر كـبير مـن الدقـة ، إذ لا حـرج عنـدهم أن ينالوا من اللفظ إذا كان ذلك في خدمة المعنى ، وكيـف لا ؟ وقـد عـدُّوا الفصـاحة فخـراً والبلاغة نبوغاً فدفعهم طلب الخفة ، وتجـانس الصـوت إلى أن يقيسـوا علـى الثلاثـي مـا

(1) جـ 2 ص 266 .

(2) الديوان ص 124 ، الحجة جـ 1 ص 308 ، الخصـائص جـ 2 ص 340 ، شـرح الشـافية جـ 1 ص 45 ، شـرح شواهد الشافية جـ 4 ص 21 .

(3) الكتاب جـ 4 ص 115 .

(4) الكتاب جـ 4 ص 115 ، التكملة ص 190 .

كان من كلمتين منفصلتين إذا كان على هيئة الثلاثي ، وبنيته ، من حيث كسر ما يقابل عين الثلاثي ، أو ضمه إجراءً للمنفصل مجرى المتصل فمن ذلك : لام الأمر إذا دخلت عليها الواو أو الفاء ، أو ثمَّ : الْأَوْلَى أن يقال لها : لام الطلب لتشمل الأمر كما في : ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: 7] والدعاء كما في : ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: 77] والالتماس كقولك لصديقك : لتجلسْ .

والأصل في هذه اللام أن تكون متحركة بالكسر .

قال المرادي : « ونقل ابن مالك أنَّ فتحها لغة ، وحكاه الفراء عن بني سليم ، ويجوز إسكانها بعد الواو ، والفاء ، وهو أكثر من تحريكها نحو : ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى﴾ [البقرة: 186] ويجوز إسكانها بعد ثُمَّ ، وليس بضعيف ولا مخصوص بالضرورة[1] .

ولام الطلب كما علمت متحركة بالكسر ، فإذا دخلت عليها الواو كما في : « وَليقم زيد» أو الفاء كما في : « فليجلس عمرو » ، جاز تسكينها ، وهو الكثير الغالب وذلك أنهم أجروا « وَ ، لَ : يَ» من وليقم« و« فَ ، لَ ، ي» من « فليجلس» مجرى « عَلِم» مما كسرت عينه ، فَسكَّنوا اللام من « وَلْي» و« فَلْيَ» كما سكنوها من « علم» طلباً للتخفيف ، وإنما سكَّنوا هذه اللام مع الواو والفاء ، لأن الواو والفاء حرفان مفردان لا يمكن الوقوف عليهما دون ما بعدهما ، فلشدة اتصالهما بما بعدهما صارا كأنهما من نفس بنية الكلمة فلما صارت الواو والفاء مع اللام ، وحرف المضارع بمنزلة « علم» سكنت اللام .

قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: 15] وقال تعالى : ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: 29] .

قرأ أبو عمرو ، وابن عامر وورش عن نافع « ثُمَّ لِيَقْطَعْ » : « ثُمَّ لِيقضُوا» بكسر اللام فيهما ، ووافقهم قنبل عن ابن كثير في : « ثُمَّ لِيقضوا» وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر : « ولِيوفوا» : « وَلِيطوفوا» بكسر اللام فيهما وقرأ الباقون جميع ذلك بسكون اللام[2] ، فمن قرأ بكسر اللام فقد جاء به على الأصل ، ومن أسكن اللام مع الواو والفاء فكما علمت من أنهم أجروا الواو والفاء مع اللام وحرف المضارع مجرى « عَلِم» وأنهم سكنوا اللام طلباً للتخفيف ، حيث ذكر سيبويه أنهم سكنوا اللام لكثرة استعمالهم ولشدة

(1) الجني الداني : 110 ص 112 ، وانظر المغني جـ 1 ص 249 .

(2) انظر النشر جـ 2 ص 326 .

اتصال الواو والفاء بما بعدهما[1] .

وصف أبو العباس محمد بن يزيد المبرد قراءة : ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ : ﴿ثُمَّ لْيقضُوا﴾ بسكون اللام باللحن حيث قال : « فإنَّ الإسكان في لام « فلينظر » جيد ، وفي لام « ليقطع » لحن »[2] .

وذكر أبو الفتح ابن جنى أنَّ هذه القراءة مردودة عند أصحابه ـ يعنى البصريين ـ وذكر أنه سأل أبا على الفارسي عن جواز قراءة الكسائي ـ بإسكان اللام مع « ثم » على تشبيه « ثُمَّ » بالواو والفاء ، كما شبهت حروف المضارع بعضها ببعض ، وذلك في حذف الواو من (يعد) ، لوقوعها بين الياء والكسرة ، ثم حملت بقية حروف المضارع على الياء ، فأجاب أبو على بما يدل على وجود الفرق بين حروف المضارع وحروف العطف ، من حيث كون حرف المضارع على حرف واحد ، أمَّا حروف العطف فمنها ما هو على حرف واحد مثل : الواو ، والفاء ، ومنها ما هو على حرفين مثل بل ، ولا ، ومنها ما هو على ثلاثة أحرف مثل : ثُمَّ[3] .

وذكر أبو جعفر النحاس أنَّ هذه القراءة بعيدة في العربية[4] وإنما سكنوا اللام من : « ثُمَّ لْيَقْطَعْ » : « ثُمَّ لْيقضُوا » لأن الميم من « ثُمَّ » بمنزلة الواو ، والفاء ، ولذا كان « مَ ، ل ، ي » بمنزلة عَلِمَ وعلى هيئته ، فجاز التسكين كما جاز تسكين اللام من « علم » إجراءً للمنفصل مجرى المتصل .

قال أبو على الفارسي : « أصل هذه اللام الكسر ، يدل على ذلك أنك إذا ابتدأت بها فقلت : لِيَقُمْ زيد ، كسرتها لا غير ، فإذا ألحقت الكلام الذي فيه اللام الواو أو الفاء أو ثم ، فمن سكّن مع الفاء والواو ، فلأن الفاءَ والواو يصيران كشيء من نفس الكلمة . ومن قال : « ثُمَّ لْيقضُوا » شبه الميم من « ثُمَّ » بالفاء والواو فيجعل « لْيقضُوا » من : « ثُمَّ لْيقضُوا » بمنزلة الفاء والواو وجعله كقولهم : أراك منتفخاً »[5] .

وقد سبق أنَّ المرادي ذكر أن إسكان اللام بعد « ثُمَّ » ليس ضعيفاً ولا مخصوصاً

(1) انظر الكتاب جـ 4 ص 151 ، والمقتضب جـ 2 ص 133 .
(2) المقتضب جـ 2 ص 134 .
(3) سر صناعة الإعراب جـ 1 ص 384 – 387 .
(4) إعراب القرآن جـ 3 ص 90 .
(5) الحجة جـ 5 ص 270 .

بالضرورة ، وقال الفراء : « وكل لام أمر إذا استؤنفت ، ولم يكن قبلها واو ، ولا فاءٌ ، ولا ثم كسرت ، فإذا كان معها شيء من هذه الحروف سكنت»[1] زد على ذلك أنَّ جمهور القراءِ قرأوا بإسكان اللام بعد « ثمَ» وهؤلاءِ لم يكونوا ليقرأوا إلاَّ بما سمعوا وما سمعوه منقولاً إليهم تواتراً .

الضمير المنفصل للمفرد الغائب إذا دخلت عليه الواو أو الفاء أو ثُمَّ أو الهمزة أو الكاف .

قال سيبويه : « وأمَّا المضمر المتحدث عنه فعلامته « هُوَ» وإن كان مؤنثاً فعلامته « هي»[2] أى أنَّ الضمير المنفصل للمفرد الغائب المذكر « هو » الهاء والواو وضمير المفردة الغائبة الهاء والياء « هي» هذا مذهب البصريين وذهب الكوفيون ، والزجاج ، وابن كيسان إلى أنَّ الضمير هو الهاءُ وحدها من « هو » و« هي» وأنَّ الواو والياء زيدتا ، قيل : لتكثير حروف الكلمة ، وقيل : للإشباع وذكر الشيخ الرضي أنَّ الوجه ما ذكره البصريون ذلك أنَّ حرف الإشباع لا يحرك ، ولا يثبت إلاَّ للضرورة[3] .

وأشهر اللغات فيها ضم الهاء من « هو » وكسرها من « هي» وفتح الواو والياء فيهما وإنما تحركت الواو والياء لتكون الكلمة بحركتهما ضميراً مستقلاً ، وذكر ابن مالك أنهما بنيا على الحركة لقصد امتيازهما عن ضمير المفرد الغائب المتصل إذ الأصل في الهاء من : له ، وبه : لهُو وبهي أى بهاء مضمومة و واو في الأول ، وهاءٍ مكسورة وياءٍ في الثاني ، فلو لم تحرك الواو والياء في المنفصل لا لتبس بالمتصل[4] .

وإذا علمت هذا فلنعد إلى دخول الواو والفاء وثُمَّ والهمزة والكاف على اللام .

فمما دخلت فيه الواو على« هو » و« هي» قوله تعالى : ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 29] وقوله تعالى : ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ﴾ [هود: 42] ومما دخلت عليه الفاء قوله تعالى : ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [النحل: 63] وقوله : ﴿فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: 74] .

(1) معاني القرآن جـ 1 ص 285 .

(2) الكتاب جـ 2 ص 351 .

(3) شرح الرضي جـ 2 ص 418 .

(4) انظر شرح التسهيل جـ 1 ص 142 ، شرح الرضي على الكافية جـ 2 ص 418 ، الارتشاف جـ 2 ص 928 .

وممَّا دخلت عليه الـلام قولـه تعـالى : ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الحـج: 58] وقوله : ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: 64] .

وممَّا دخلت عليه « ثُمَّ » قولـه تعـالى : ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القصـص: 61] حيث قرأ أبو عمرو والكسائي وقالون بإسكان الهاء بعد الواو والفاء واللام .

وقرأ الكسائي « ثُمَّ هْو » بإسكان الهاء وقرأ أبـو عمـرو « ثُـمَّ هُـوَ » بضـمها وروى عن قالون الوجهان .

وقرأ باقي السبعة بتحريك الهـاء بعـد هـذه الأحـرف حيـث وقعـت[1] فمـن قـال : وهُوَ ، وهِيَ ، وفَهُوَ ، فَهِيَ ، ولَهُوَ ، ولَهِيَ ، وثُمَّ هُو فحرك الهاء من « هو » بالضـم ، ومـن « هِيَ » بالكسر فقد جاء به على الأصل كما علمـت أي أن هـذه الحـروف لم تغـير الهـاء عمَّا كانت عليه قبل دخولها كما لم تغير غيرها من الحروف حيث تقول : وزيد ، فزيـد ، ثُمَّ زيد ، ولزيد ، فهذه الحروف لم تغير مـن حركـة الـزاى شـيئاً كـذلك لم تغـير حركـة الهاء .

وأما تسكين الهاء بعد الواو ، والفاء ، واللام ، فلأن هذه الحـروف شـديدة الاتصـال بما بعدها حتى نزلت منزلة الجزء منـه ، فـالواو ، والفـاء والـلام مـن : « وَهُـو » و« فَهُـو » و« لَهُو »بمنزلة العين من« عَضُـد»ومـن « هِـيِ» و« فِهِـي» و« لَهِـيَ» بمنزلـة الكـاف مـن « كَتِف» .

ولذا جاز تسكين الهاء مـن« وهـو » ومـا يشـبهه ومـن « وهـي» ومـا يشـبه إجـراء للمنفصل مجرى المتصل .

قال سيبويه : « فإنَّ الهاء تسكن إذا كان قبلـها واو ، أو فـاءٌ ، أو لام وذلـك قولـك : وَهْوَ ذاهب ، ولَهْوَ خير منك ، فَهْوَ قائم ، وكذلك»هى» لمـا كَثُرَتَـا في الكـلام ، وكانـت هذه الحروف لا يلفظ بها إلاَّ مع مـا بعـدها صـارت بمنزلـة مـا هـو مـن نفـس الحـرف فأسكنوا كما قالوا في « فَخِذَ» : فَخْذ . . . . . فعلوا ذلك حيث كثرت في كلامهـم وصارت تستعمل كثيراً فأسكنت في هذه الحروف استخفافاً»[2] وذكـر ابـن مالـك أنَّهـم سكنوا الهاء فراراً مـن مخالفـة النظـائر إذ لـيس في الكـلام اسـم علـى حـرفين متحـركين

(1) التذكرة جـ 2 ص 211 ، 222 ، النشر جـ 2 ص 209 .
(2) الكتاب جـ 1 ص 151 ، وانظر الحجة جـ 1 ص 407 .

ثانيهما حرف لين غيرهما ، فسكن الأول لأنه لو سكنَّ الثاني لأدَّى إلى التباس المنفصل بالمتصل ، فعدل إلى تسكين الأول[1] .

وذكر ابن عقيل أن تسكين الهاء لغة أهل نجد[2] ، وأما تسكين الهاء بعد « ثُمَّ » فلأن الميم من « ثُمَّ » بمنزلة الواو ، والفاء واللام فصار « مَ ، هُ وَ » بمنزلة عَضُد ، و« مَ هِ يَ » بمنزلة كتف فسكنت الهاء كما سكنت في « عضد » و« كتف » إجراءً للمنفصل مجرى المتصل[3] .

وروى عن أبي جعفر ، وقالون أنهما قرءا : ﴿أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ [البقرة: 282][4] بإسكان الهاء من « هو » وذلك أنَّ اللام من « يملَّ » والهاء والواو من هو « كـ ، هـُ ، و » بمنزلة « عَضُد » مما ضمت عينه ، فسكِّنَ وسطه تخفيفاً كما سكنت الضاد من « عضد » وقد وصف أبو حيان هذه القراءة بالشذوذ حيث قال : « وقرئ شاذاً بإسكان هاءِ « هُو » وإن كان قد سبقها ما ينفصل إجراءً للمنفصل مجرى المتصل بالواو ، والفاء ، واللام نحو : وَهْو ، فَهْو ، لَهْوَ ، وهذا أشد من قراءة من قرأ « ثُمَّ هْو يوم القيامة » لأنَّ ثُمَّ شاركت في كونه للعطف ، وأنها لا يوقف عليها فيتمَّ المعنى[5] » .

وممَّا دخلت فيه الهمزة على الهاء من « هي » قول المرار بن منقد :

فقمت للطيف مرتاعاً وأرقني فقلت أهْي سرت أم عادني حلمي؟[6]

فقوله : « أَهْيَ » بسكون الهاءِ ، حيث أجرى الـ« أ ، هِ ، يَ » منزلة « عَلِمَ » فسكنت الهاءُ كما سكنت اللام طلبة لخفة اللفظ ، وأجريت الهمزة مجرى الواو والفاء ، واللام ، إلاَّ أن الإسكان مع الهمزة أضعف منه مع هذه الأحرف ، من حيث إنه يمكن الفصل بينهما وبين ما دخلت عليه نحو : أزيد قام ؟ بخلاف الواو ، والفاء واللام فلا يمكن الفصل بينهما وبين ما دخلت عليه .

---

(1) شرح التسهيل جـ 1 ص 143 .

(2) المساعد جـ 1 ص 100 .

(3) انظر الحجة جـ 1 ص 408 ، شرح التسهيل جـ 1 : 142 ، 143 ، المساعد جـ 1 ص 99 ، 100 .

(4) انظر النشر جـ 2 ص 209 .

(5) البحر جـ 2 ص 726 ، وانظر إعراب القراءات الشواذ جـ 1 ص 287 ، والدر المصون جـ1 ص 674 ، شرح الشافية جـ 2 ص 270 .

(6) انظر الخصائص جـ 1 ص 306 ، جـ 2 ص 332 ، شرح التسهيل جـ 1 ص 343 ، المساعد جـ1 ص 100

ذلك أنَّ الأصل : أسرت أم عاد في حلمي ، فما بعد أمٍ « عاد في حلم » جملة فعلية ، وما قبلها جملة فعلية حذف الفعل فانفصل الضمير ومما دخلت فيه الكاف على الهاء قول الشاعر :

وقد علموا ما هنَّ كَهْيَ فكيف لي سَلوَّ ولا أنفكّ صبًّا متيَّمًا[1]

حيث سكنَّ الهاء من « كهيَ » إجراءً للمنفصل مجرى المتصل فكاف التشبيه ، والهاء والواو من هي « بمنزلة كَتِفٍ ، أ رأيت كيف عنت العرب بتخفيف الألفاظ مما كثر استعماله ، واشتدت الحاجة إليه .

هذه الحركة التي سكنتها العرب حركة بناء بمعنى أن الحرف بني عليها واستقرت له والحركة إمَّا ضمة ، وإمَّا كسرة في البناء الثلاثي ، أو ما حمل عليه مما نطقت به العرب ، أو حمل عنها فلا يغرَّنك رفض بعض النحاة لبعض الصور إذ قد قامت الشواهد والأدلة على صحته ، ومنه أيضاً أبو زيد عن العذافر بن زيد :

قالت سليمى اشترْ لنا سويقاً وهات بَّر البَخْسِ أو دقيقاً
واعجلْ بشحم نتخذ خَرْديقاً واشتَرْ فعجل خادما لبيقا[2]

وقال الأخر :

يا شيخ لا بد لنا أن نحججا قد حجَّ في ذا العام من كان رجا
فاكترْ لنا كرىً صدق فالنجَا واحذر فلا تكترْ كريًّا أعوجا[3]

الفعل « اشتر » في الموضعين : « اشترْ لنا » و « اشتر فعجل » فعل مبنى على حذف حرف العلة وهو الياء ، وبقيت الكسرة دالة على المحذوف والأصل : اشتر ، وكذلك الفعل « فاكترْ » مبنى على حذف حرف العلة الياء وبقيت الكسرة دالة عليه .

والفعل : فلا تكترْ « فعل مضارع مجزوم بلا الناهية ، وعلامة جزمه حذف حرف العلة ثم سكنت الراء في جميع هذه الأفعال ، وذلك إجراءً للمنفصل مجرى المتصل حيث نزلت « ت ، رِ ، لَ » من « اشْتَرِ لنا » و « ت ، رِ ، ف » من « اشْتَر فعجل » و « ت ، رِ ،

(1) شرح التسهيل جـ 1 ص 147 .
(2) النوادر ص 170 ، الحجة جـ 1 ص 67 ، 410 ، الخصائص جـ 2 ص 392 .
(3) المحتسب جـ 1 ص 361 ، الخصائص جـ 2 ص 342 ، شرح شواهد الشافية جـ 4 ص 225 .

لـ»من« فاكترْ لنا » و« ت ، ر ، ك » من فلا تكتر كريًّا « منزلة »علم« في جواز تسكين وسطه فصار : تَرْل ، تَرْف ، وتَرْك كما جاز « عَلْمَ » بالتسكين تخفيفاً ، وهو ما نصَّ عليه أبو على في الحجة ، وذكر ابن جنى في الخصائص[1] وذكر ابن جنى في المحتسب أنه من باب إجراء الوصل مجرى الوقف[2] .

وعلى ذلك خرجوا قراءة حفص عن عاصم « ويتَّقْهِ بإسكان القاف واختلاس كسرة الهاء[3] من قوله تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [النور : 52]، و« يتقه » مضارع بالعطف على جواب شرط مجزوم وعلامة جزمه حذف الياء والكسرة على القاف دالة عليها ، فأشبهت « تَ ، ق ، هـ » من « يَتَّقِه » « علِم » فسكنت القاف تخفيفاً إجراءً للمنفصل مجرى المتصل إذ « يتَقه » مكونه من الفعل وضمير المفعول .

قال أبو على الفارسي : « وأما ما رواه حفص عن عاصم « ويتَّقْه » فإنَّ وجهه أنَّ « تقِه » من « يتَّقه » مثل : كتِف فكما يسكن نحو : كتف ، كذلك سكن القاف من « تقه »[4] .

وكسر الهاء كسرة مختلسة له وجهان :

الأول : أنَّ الأصل في « يَتَّقْهِ » « يَتَّقِهْ » بكسر القاف وسكون الهاء مثل قراءة عاصم في : ﴿أَرۡجِهۡ﴾ [الأعراف : 111] بكسر الجيم وسكون الهاء وفي ﴿فَأَلۡقِهۡ﴾ [النمل : 28][5] بكسر القاف وسكون الهاء .

وقال أبو على : « وروى أبو عمارة عن حفص عن عاصم « ويَتَقِهْ » مكسورة القاف ، ساكنة الهاء »[6] فلما سكنت القاف من « تَقِهْ » تخفيفاً كما مرَّ التقي ساكنان : سكون القاف ، وسكون الهاء ولما اضطر إلى تحريكها تخلصاً من الساكنين حركت بالكسر إذ هو الأصل في التخلص من الساكنين كما أنَّ فيه إشعاراً بأصل حركتها .

---

(1) انظر الحجة جـ 2 ص 79 ، الخصائص جـ 2 ص 341 ، 343 .

(2) جـ 1 ص 361 .

(3) التذكرة جـ 2 ص 369 ، 570 .

(4) الحجة جـ 5 ص 329 .

(5) انظر التذكرة جـ 2 ص 422 ، 586 .

(6) الحجة جـ 5 ص 327 .

قال أبو على : « فلمَّا أسكن ما قبل الهاء لهذا التشبيه ، حـرَّك الهـاء بالكسـر ، كمـا حرَّك الدال بالفتح في« لَمْ يَلْدَهُ»[1] إلاَّ أنَّ هناك فرقاً بين حركـة الهـاء وحركـة الـدال ، إذا الهاء حركت بحركة أصل التخلص من السـاكنين ، وفيهـا إشـعار بحركـة الأصـل والـدال حركت للتخلص من الساكنين ، وإنما حركت بالفتح مراعاة لحركة الياء قبلها .

وقد ردَّ الإمـام الشـاطبي أن يكـون كسـر الهـاء لالتقـاء السـاكنين ، بـأنَّ حفصـاً لم يسكن الهاء في هذه القراءة ، وجاء في أحد شروح الشاطبية ردَّ ما ردَّ به الشـاطبي ، ونصـه كما جاء في الدر المصون « وعجيب من نفيه الإسكان عنـه مـع ثبوتـه عنـه في « أرجـهْ» و« فألقهَ» وإذا قرأه في « أرجهْ» و« فَألقِـهْ» احتمـل أن يكـون « يتقـه» عنـده قبـل سـكون القاف كذلك ، وربما ترجح ذلك بما ثبت عن عاصم مـن قراءتـه إيـاه بسـكون الهـاء مـع كسر القاف»[2] .

الثاني : أنَّ الياء ـ لام الكلمة ـ التي حذفت للجزم من « يتقـه» مقـدرة منويـة لأن مـا حذف لعلـة لـه حكـم الموجـود ، وإذا كانـت اليـاء مقـدرة منويـة كانـت الهـاء في حكـم المسبوق بياء ساكنة ، وعلى ذلك تكون الهـاء في ﴿ويتقـه فأولئـك﴾ مسـبوقة بيـاءٍ سـاكنة حكماً ، وما بعدها متحرك ، وإذا كانت كذلك فجميع القـراء ماعـدا ابـن كـثير يكسـرونها من غير صلة[3] .

ومما يدلُّ على أن الياء مقدرة منوية ، أنه لو لـم تُنْوَ لتعين ضمها ، لأن هـاءَ الكنايـة إذا تقدم عليها ساكن غير الياء ، وكان ما بعدها متحركاً تعـين ضـمها عنـد جميـع القـراء من غير صلة ما عدا ابن كـثير[4] فلمـا كسـرت دلَّ كسـرها علـى عـدم الاعتـداد بسـكون القاف ، وأنه اعتدَّ بالياء المقدرة[5] ومنه قراءة ابن كـثير بإسـكان الـراء في كـل مـن : ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقـرة: 128] و ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقـرة: 260] و ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النسـاء: 153] و ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعـراف: 143] و ﴿أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ [فصـلت: 29][6] فـ « أرِ» فعل أمر مبني علـى حـذف حـرف العلـة و مضـارعه « يُـرِى» والأصـل

(1) الحجة جـ 5 ص 329 .
(2) الدر المصون جـ 5 ص 229 .
(3) النشر جـ 1 ص 305 .
(4) النشر جـ 1 ص 305 .
(5) انظر الكشف جـ 2 ص 142 ، الدر المصون جـ 5 ص 229 .
(6) وانظر التذكرة جـ 2 ص 322 ، النشر جـ 2 ص 222 .

يَرْئ ، حيث حذفت همزة التعدية لإطراد حذفها مع حروف المضارع ثم حذفت الهمزة الثانية التي هي عين الكلمة بعد نقل حركتها إلى الراء والأمر منه أرِ بالكسر وبه قرأ جمهور القراء .

وأما قراءة إسكان الراء فعلى تشبيه المنفصل «أ ، رِ ، ن» بالمتصل «عَلِم» .

ذكر الزجاج أنَّ الكسرة دليل الهمزة فحذفها قبيح ، وذكر أبو جعفر النحاس أنَّ في حذف الكسرة إجحافاً وبعداً .

وقال الزمخشرى : «وقرئ»وأرْنا» بسكون الراء قياساً على «فَخْذ» في «فَخِذ ، وقد استرذلت»[1] .

وقد ردَّ العلماء تلكم الاعتراضات بما يأتي :

1 ـ أن الإسكان على تشبيه المنفصل بالمتصل .

أنَّ حركة الراء صارت بمنزلة الأصل ، لأن الأصل المنقولة منه وهو الهمز مرفوض استعمالاً .

أنَّ لإسكان الراء في «أرنا» أمثلة ونظائر فيها نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، ثم سكنت تلك الحركة ، وذلك في : ﴿لَٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ [الكهف: 38] إذ الأصل : لكن أنا حيث حذفت الهمزة بعد نقل حركتها إلى النون الساكنة قبلها ، ثُمَّ سكنت هذه النون لأجل الإدغام .

قال أبو على : «فذهاب الحركة في «أرنا» في التخفيف ليس بدون ذهابها في الإدغام»[2] .

5 ـ أنَّه قد ورد الإسكان في هذا الحرف عن العرب قال الشاعر :

أرْنـــا إدْوَاة عبـــد الله نملؤهـــا من ماء زمزم إنَّ القوم قد ظمئوا[3]

(1) الكشاف جـ 1 ص 311 ، وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج جـ 1 ص 209 ، إعراب القرآن للنحاس جـ 1 ص 262 .

(2) الحجة جـ 2 ص 85 .

(3) البحر المحيط جـ 1 ص 623 ، الدر المصون جـ 1 ص 372 .

تسكين حركة الإعراب :

الحركة التي سكنت في البناء الثلاثي ، وما حمل عليه ممَّا سبق هي حركة بناءٍ بمعنى أنَّ الحرف بني عليها ، أو أنهَّا منزلة منزلتها ، وذلك نحو « حركة التاء في : كتف ، والضاد في عضدِ ، والباء في إبِل ، والراء في : اشتر لنا » و« أرنا » وتسكين هذه الحركة جائز في الثلاثي وما حمل عليه[1] .

ولم تقف العرب في تخفيف ألفاظها بالتسكين عند تسكين حركات البناء بل تعدته إلى أبعد من ذلك ، وهو تسكين حركة إذا دعت الحاجة إلى ذلك ولا أقصد بالتسكين هنا التسكين الذي يجلبه العامل كتسكين الباء من قولك : لم يضربْ ، لأن ذا علامة من علامات الإعراب ، وإنما أقصد تسكين حركة الإعراب طلباً للخفة لا لأثر يجلبه العامل ، وسأعرض بعض الأمثلة الشواهد مبيناً ما دار حولها من الآ راء ، والأقوال .

وذلك نحو قول امرئ القيس :

فاليوم أشربْ غير مستحقب إثماً من الله ولا واغل[2]

فالفعل « أشرب » مضارع لم يسبقه ناصب ولا جازم فحقه أن يكون مرفوعاً إلاَّ أنه سكن آخره إجراء للمنفصل مجرى المتصل وذلك أنَّ « رَ ، بُ ، غَ »من« أشربُ غير » بمنزلة كَرُم مما ضمت عينه ، ولذا سكنت الباء من « رَبُغَ » كما سكنت الراء من « كرُم » .

وقال سيبويه : « وقد يجوز أن يسكنوا الحرف المرفوع ، والمجرور في الشعر شبهوا ذلك بكسرة « فَخِذ » حيث حذفوا فقالوا : فَخْذ ، وبضمة » عَضُدَ حيث حذفوا ، فقالوا »عَضْد »[3] .

وقد نسب إلى أبي العباس المبرد أنه اعترض على رواية الكتاب :

---

(1) انظر الحجة جـ 2 ص 79 ، الخصائص جـ 2 ص 331 ، 335 .

(2) انظر الكتاب جـ 4 ص 204 ، النوادر ص 187 ، الكامل جـ1 ص 310 ، الحجة جـ 1 ص 117 ، 410 ، الخصائص جـ 1 ص 75 ، جـ 2 ص 342 .

(3) الكتاب جـ 4 ص 203 .

اليــوم أشــربْ . . . . . .

وأنَّ رواية البيت عنده هي :

فــاليوم فاشــربْ . . . . . .

بلفظ الأمر ، وعلى هذه الرواية جاء في نوادر أبي زيد الأنصاري وأما روايـة المـبرد لهذا البيت في الكامل فعلى هذا النحو :

حلّــت لــي الخمــر وكنــت امــرأ عــن شــربها في شــغل شــاغل

فــاليوم أســقي غــير مســتحقب إثمــا مــن الله ولا واغــل[1]

وإلى هاتين الروايتين أشار أبو إسحاق الزجاج بقوله : « رووا :

فــاليوم فاشــربْ غــير مســتحقب . . . . . .

ورووا أيضاً :

فــاليوم أســقي غــير مســتحقب . . . . . .

ونقل أبو زيد الأنصاري عن أبي الحسن الأخفش قوله : « والرواية الجيد ة مـا ذكـر وهي :

فاليوم فأشربْ . . . . . .

اليوم أسقي . . . . . .

ورواية من روى :

فاليوم أشربْ . . . . . .

لا تجوز عندنا إلاَّ على ضرورة قبحه ، وإن كان جماعة من رؤسـاء النحـويين قـد أجازه »[2] وبهذا تعلم أنَّ الذي اعترض على رواية الكتاب هو أبـو الحسـن الأخفـش ، ثُـمَّ ثُمَّ تبعه أبو العباس المبرد .

ورواية الكتاب غير مرفوعة برواية أخـرى ، ولا متهمـة لأن سـيبويه ثقـة لا يـروى

(1) الكامل جـ1 ص 310 ، وانظر الديوان ص 122 ، والنوادر ص 187 .

(2) النوادر ص 188 .

إلاَّ ما سمع ، قال ابن جنى : « وأمَّا اعتراض أبي العباس هنا على الكتاب ، فإنما هو على العرب لا على صاحب الكتاب ، لأنه حكاه كما سمعه ولا يمكن في الوزن غيره .

وقول أبي العباس إنما الرواية :

فـاليوم فاشـرب . . . . . .

فكأنه قال لسيبويه كذبت على العرب ، ولم تسمع ما حكيته عنهم وإذا بلغ هذا الحدِّ من السرف فقد سقطت كلفة القول معه »[1]

قال جرير :

سيروا بني العمِّ فالأهواز منزلكم ونهر تيرا فلا تعرفكم العرب[2]

« تعرفكم » مضارع مرفوع سكن حرف الإعراب فيه قال ابن جنى : « استخفافاً لنقل الضمة مع كثرة الحركات »[3]

ومنه قول الأُقَيْشر الأسدي :

رَحْبٌ وفي رجليك ما فيهما وقد بدا هَنْكِ من المئزر[4]

« هَنُكِ » اسم من الأسماء الستة يكنىَّ به عمَّا يستقبح ، أعرب بالحركات على لغة النقص ، فهو فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على النون أبدلت ضمة الإعراب سكوناً طلباً للخفة حيث جعل « هـَ ، نُ ، كِ » بمنزلة « عَضُد » وذكر ابن جنى أنَّ المبرد يروى البيت على :

. . . . . وقد بدا ذاك من المئزر »[5]

وممَّا سكنت فيه حركة الإعراب « بارئكم » في قوله تعالى : ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ﴾ [البقرة: 154] حيث قرأ السوسي عن أبي عمرو بن

(1) المحتسب جـ 1 ص 110 .
(2) الحجة جـ 2 ص 80 ، المحتسب جـ 1 ص 10 ، 123 ، الخصائص جـ 1 ص 74 وجـ 2 ص 317 .
(3) المحتسب جـ 1 ص 123 .
(4)الكتاب جـ 4 ص 203 ، معاني القرآن للأخفش جـ 1 ص 266 ، الحجة جـ 2 ص 80 ، المحتسب جـ 1 ص 110 .
(5) المحتسب جـ 1 ص 111 ، وانظر الضرائر ص 195 .

العلاء بإسكان الهمزة في الموضعين[1] .

وذلك أنهم أجروا « ر ، ئ ، ك » من « بارئكم » مجرى « إبِل » مما كسرت فاؤه ، وعينه ، فسكنت الهمزة من « رِئكَ » كما سكنت الباء من « إبِل » وقد ذكر المبرد أنَّ قراءة أبي عمرو بالإسكان لحن لا يجوز في كلام ولا شعر[2] .

وقال أبو إسحاق الزجاج : « وروي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قرأ « إلى بارئكم » بإسكان الهمزة ، وهذا رواه سيبويه باختلاس الكسرة وأحسب أن الرواية الصحيحة ما روى سيبويه فإنه أضبط لما روى عن أبي عمرو ، والإعراب أشبه بالرواية ، لأن حذف الكسرة في مثل هذا وحذف الضم ، إنما يأتي باضطرار من الشعر »[3] .

وقال الأخفش : « وقد زعم قوم أنها تجزم ، ولا أرى ذلك إلا غلطاً ، سمعوا التخفيف فظنوا أنه مجزوم ، والتخفيف لا يفهم إلاَّ بمشافهة ولا يعرف في الكتاب ولا يجوز الإسكان »[4]

تصويب وتوجيه :

سبق في نص أبى إسحاق الزجاج أنَّ سيبويه روى عن أبى عمرو اختلاس كسرة الهمزة في « بارئكم » ونقل أبو على الفارسي عن أحمد بن مجاهد أنَّ سيبويه قال : « كان أبو عمرو يختلس الحركة من « بارئكم » و« يأمُركم » وما أشبه ذلك مما تتوالى فيه الحركات ، فيرى من يسمعه أنه قد أسكن ، ولم يكن يسكن »[5] أى أنَّ الراوىَ سمع سمع أبا عمرو يختلس الحركة فظنَّ أنه سكنها نقلت ذلك كثير من المصادر ، ونسبته إلى سيبويه[6] .

وبالرجوع إلى الكتاب في باب الإشباع في الجر ، والرفع ، وغير الإشباع ، والحركة كما هي يقول : « وأمَّا الذي لا يشبعون فيختلسون اختلاساً ، وذلك قولك :

---

(1) التذكرة جـ 2 ص 213 ، النشر جـ1 ص 212 .

(2) إعراب القرآن للنحاس جـ1 ص 226 .

(3) معاني القرآن وإعرابه جـ 1 ص 136 .

(4) معاني القرآن جـ 1 ص 266 .

(5) الحجة جـ 2 ص 77 .

(6) انظر مثلا الدر المصون جـ 1 ص 226 .

يضر بها ، ومن مأمنك ، يسرعون اللفظ ، ومن ثَمَّ قال أبو عمرو « إلى بارئكم »[1] .

فسيبويه لم يتهم الراوي بقلة الضبط ، ولم يطعن في رواية الإسكان ، فضلاً عن تخطئتها ، وإنما اقتصر سيبويه على رواية الاختلاس ، وهي ثابتة عن أبى عمرو لا جدال في ذلك قال ابن غلبون : « وقرأ الدوري عن أبي عمرو باختلاس حركة الهمزة . . . »[2] .

وقد تقدم تخريج رواية الإسكان عن أبي عمرو ، وإنما اقتصر سيبويه على رواية الاختلاس ، لأنه عقد الباب لبيان إشباع الحركة واختلاسها .

وإذا رجعت إلى نص أبي الحسن الأخفش رأيت أن ما نسب إلى سيبويه هو أقرب ما يكون إلى ما ذكره الأخفش « وقد زعم قوم أنها تجزم ولا أرى ذلك إلا غلطاً منهم ، سمعوا التخفيف فظنوا أنه مجزوم» فهذا نص صريح واضح في تغليط رواية الإسكان ، واتهام الراوي بقلة الضبط ، وهو ما نجده واضحاً أيضاً عن أبي إسحاق الزجاج كما تقدم وكما في قوله : « وأمَّا ما يروى عن أبي عمرو بن العلاء في قراءته« إلى بارئكم» فإنما هو أن يختلس الكسرة اختلاساً ، ولا يجزم « بارئكم» وهذا أعنى جزم « بارئكم» إنما رواه عن أبي عمرو من لا يضبط النحو كضبط سيبويه والخليل »[3] .

كذلك اتهم الزمخشري الراوي بقلة الحفظ حيث سمع أبا عمرو بن العلاء يختلس حركة الميم من ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ فظن أنه سكنها[4] وإنما سكن أبو عمرو إجراء للمنفصل مجرى المتصل .

وأيضاً فإن الهمزة حرف ثقيل مستكره ، ولذا تصرفت فيه العرب بضروب شتى من ألوان التخفيف تخلصاً من ثقله وتهوعه زد على ذلك أن الراء حرف مكرر[5] فالكسرة فيه بكسرتين ، فلما توالت الكسرات سكنت الهمزة ، وفيه تخلص من الانتقال من الثقيل « كسرة الهمزة» إلى الأثقل« ضمة الكاف» .

(1) الكتاب جـ 4 ص 202 .
(2) التذكرة جـ 2 ص 314 .
(3) معاني القرآن وإعرابه جـ 4 ص 275 ـ 276 .
(4) الكشاف جـ 2 ص 390 .
(5) انظر الكتاب جـ 4 ص 435 .

فلما كان الراء حرفاً مجهوراً يحتاج إلى إشباع الصوت في مجراه مكرراً الحركة بحركتين اعتنت العرب بتخفيف قوته ، وتقليل تكراره بالإسكان ولذا نجد أبا عمرو يقرأ بتسكين الراء في : ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ [البقرة: 67] ، و﴿يَأْمُرُهُم﴾ [الأعراف: 157] و﴿يَنصُرُكُمُ﴾ [آل عمران: 160]، و﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ [الأنعام: 109][1] وكلها أفعال مضارعة مرفوعة إلا أنه سكَّن الرَّاء هروباً من توالي المتحركات .

وإنما منع أبو العباس المبرد تسكين الهمزة من « بارئكم» لأنه لا يجوز عنده حذف حركة الإعراب الضمة أو الكسرة من حيث كونها علماً للإعراب ، وحذفها ينافي ما جيء بها لأجله .

وهذا ـ لعمرى ـ مذهب له وجاهته لو لم تنطق العرب بذلك ، ولم ينقل عنها ، إذا المصير إلى ما نطقت به ، ونقل عنها .

وهذا مثال آخر مما أجرته العرب مجرى المتصل ، وبه قرأ القراء ورماه النحاة باللحن وهو قوله تعالى « مكر السيءْ ولا » من قوله تعالى : ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: 43] حيث قرأ حمزة « السّيءْ ولا » بإسكان الهمزة[2] .

قال أبو إسحاق الزجاج : « وهذا عند النحويين الحذاق لحن لا يجوز ، إنما يجوز مثله في الشعر »[3] .

وقال الزمخشرى : « وقرأ حمزة » ومكر السيءْ» بإسكان الهمزة ، وذلك لاستثقال الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فَظُنَّ سكوناً »[4] .

انظر كيف رموا قراءة حمزة « مكر السيءْ» باللحن كما رموا قراءة أبي عمرو« بارئْكم» باللحن وكيف اتهموا الراوى عن حمزة بقلة الضبط كما اتهموا

(1) انظر التذكرة جـ 2 ص 313 .

(2) الحجة جـ 6 ص 30 ، النشر جـ 2 ص 352 .

(3) معاني القرآن وإعرابه جـ 4 ص 273 .

حدث في نص الزجاج خلط ينبغي التنبيه عليه ـ ذلك أنه جاء في النص المطبوع أنه قال : « وقرأ حمزة ﴿ولا يحيق المكرا السيء﴾ على الوقف » والصواب : « وقرأ حمزة : ﴿استكباراً في الأرض ومكر السيء﴾ على الوقف « إذ لم يقرأ أحد « المكر السيء بسكون الهمزة حال الوصل » انظر التذكرة جـ 2 ص 628 .

(4) الكشاف جـ 3 ص 619 ، وانظر الدرر المصون جـ 5 ص 473 .

الراوى عن أبى عمرو بقلة الضبط ، ذلك أن تسكين حركة الإعراب لا يجوز عندهم إلا في ضرورة الشعر .

وقراءة حمزة « السيِّءْ» بإسكان الهمزة متواترة ، قد جاءت على سمت كلام العرب ونهج لغتهم ، فهم يسكنون الحركة طلباً للخفة ، وهروباً من توالى الحركات ألا ترى أنهم كرهوا توالي الكسرتين ، كما كرهوا توالي الياءين[1] وهنا قد توالت ياءات : الأولى ساكنة ، والثانية متحركة ، وكسرتان : كسرة الياء الثانية ، وكسرة الهمزة ، وقد علمت أن الهمزة حرف ثقيل ، لذا كانت الحاجة إلى التخفيف أشد ، والعرب تفعل ذلك كثيراً إجراءً للوصل مجرى الوقف حيث قالوا في الوقف على « أفعى » : أفعىْ وأفعوْ : بإبدال الألف ياء ، أو واواً ، ثمَّ تنوسي الوقف وقالوا في الوصل : هذا أفعوْ يا هذا[2] .

وهم قد يسكنون الحركة إجراء للمنفصل مجرى المتصل حيث أجرى « ي ، ء ، و » من : ﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا﴾ مجرى « إبِل » فسكنت الهمزة من « السيءِ» حملاً على سكون الباء من « إبل » ، وعلى هذا النحو جاءت قراءة أبي عمرو« بارئكم» والشواهد يؤيد بعضها بعضاً ، والقراء أوثق الناس نقلاً ، وأدق الناس حفظاً ، والقراءة سنة متبعة .

وحمزة رجل صالح ثقة ، ورع حافظ متقن ، أخذ القراءة عن الأعمش ، وجعفر الصادق ، وأخذ عن جماعة من الأعلام منهم : سفيان الثوري ، والكسائي[3] قلت : إن الشواهد يؤيد بعضها بعضاً ، ويقوى سابقها لا حقها ، ولا حقها سابقها ، فمن ذلك أنه جاء في القراءات الشاذة أن سلمة بن محارب قرأ « وبعولتْهن » بإسكان التاء في قوله تعالى : ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [البقرة : 228] [4] و« بعولتْهن » مبتدأ مرفوع وعلامة ذلك الضمة إلاَّ أنه سكن حركة الإعراب تشبيهاً لـ« لـَ ، تُ ، هـُ » بـ « عَضُد ، فسكنت التاء حملاً على تسكين الضاد .

واسمع معي هذا الحوار الذي دار بين حماد بن شعيب والأعمش :

قال حماد بن شعيب : قلت للأعمش : ﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ﴾ [النساء: 120] .

(1) انظر الكتاب جـ 1 ص 114 ، 115 .
(2) انظر الحجة جـ 6 ص 31 .
(3) البحر جـ 3 ص 500 .
(4) انظر المحتسب جـ 1 ص 122 .

قال الأعمش : أيَعدُهم؟ إنما هو : « يَعدْهم ويمنيهم ، وما يَعِدْهم » ساكنة تأمل كيف استفهم الأعمش منكراً ضمة الدال في « يعدُهم » وكيف أجاب بما لا مجال للشك في تسكين حركة الإعراب[1] .

أنكر الأخفش ، والمبرد ، والزجاج ، و الزمخشرى ، ومن تبعهم تسكين حركة الإعراب إذا كانت ضمة ، أو كسرة ، لأن هذه الحركة علماً للإعراب كما مرَّ ، وذهابها يفوت هذا الغرض .

نعم حذف الحركة يفوق الغرض ، إذا لم يكن وراء ذلك غرض آخر يسعون إليه ، ألا ترى أن العرب وهم أصحاب اللغة ـ يحذفون ما يستثقلون ويسكنون ما يرون في تسكينه خفة .

فالمضارع « يَرى » أصله « يَرْأَى » حذفت الهمزة بعد نقل حركتها إلى الساكن قبلها ، وإذا أدخلوا همزة التعدية على الفعل « رأى » قالوا : أَرَيْتُك الحق منتصراً ، فحذفوا الهمزة من الماضي بعد طرح حركتها على الساكن قبلها .

وهم لم يفعلوا ذلك لعلة أو جبت الحذف ، إذ في الإمكان أن تقول يَرْأى ، وأَرْأيتك الحق منتصراً ، وإنما حذفوا لضرب من الاستحسان طلباً للخفة .

وقالوا في اسم المفعول من« قيل » مقول ، والأصل مقوول وإنما حذفوا إحدى الواوين لضرب من استحسان اللفظ ، لأنهم يكرهون كما قال سيبويه توالي الواوين[2] .

وقالوا : زيدٌ يدعو ، ويرمى ، ومررت بالقاضي ، فحذفوا الضمة من الواو ، والياء في : يدعِو ، ويرمِى ، وحذفوا الكسرة من الياء في « القاضي » وفي وسعهم أن يقولوا « يدعو ، ويرمى ، بالقاضيِ ، أى في وسعهم أن ينطقوا بالضمة ، والكسرة على الياء والواو .

فهم قد حذفوا الحرف حين ثقل على لسانهم ، ونفرت منه طباعهم وحذفوا الحركة إذا كان في حذفها خفة ويسر .

---

(1) المحتسب جـ 1 ص 199 .

(2) انظر الكتاب جـ 4 ص 114 ، 115 .